الأرض المحتلة من العمال إلى التجار إلى ملاك الأرض، سياسة قائمة على نهب الأرض والتوسع والاستيطان فقد وضع الاحتلال يده على ٥٤٪ من مساحة الضفة الغربية وبنى عليها معسكرات ومستوطنات والكثير منها سورها بالأسلاك الشائكة باعتبارها مناطق عسكرية ، كما بادر منذ الأيام الأولى لاحتلال ٦٧ وعلى يد حزب العمل اياه بضم والحاق القدس العربية بالقوة الاحتلالية وبدأ وضع كل ملاك الارض من الصغار حتى الكبار في مواجهة الاحتلال، والسياسة التدميرية للاقتصاد الوطني الريفي وضعت كل من يعمل في الارض ايضا في مواجهة الاحتلال. كذلك السياسة الضريبية وتراكمها والضرائب الاضافية وضع التجار وكل الشعب تحت راية مواجهة الاحتلال وفي المقدمة الطبقة العاملة التي تعاني من كل اشكال البشاعة في الاستغلال في السوق الاسرائيلية ، ومن هنا نقول ان كل طبقات الشعب الفلسطيني فاعلة في صفوف الانتفاضة ولكن بدرجات متفاوتة من حيث عمق درجة التناقض مع المحتل وصلابة كل طبقة واستعداداتها للصبر الطويل على طريق الاستقلال ، ولذا نلحظ مشاركة كل الأجيال في الانتفاضة وبالدور الصارخ والبارز للعمال والشباب والنساء . ان مجموع هذه العملية الموضوعية لم يكن ممكناً ان تاخذ طريقها للانتفاضة الشاملة إلا بتوفر شرطها الذاتي ممثلاً بالقوى المنظمة والتي تم بناءها على امتداد اكثر من عشرين عاماً على يد القوى الأساسية في صفوف شعبنا و م ت ف وبجوارها برز التيار الاسلامي السياسي الذي تمتد جذوره إلى ماقبل عام ٦٧ ممثلاً بحركة الاخوان المسلمين. في هذا السياق علينا ان نلحظ ان القيادة الوطنية الموحدة هي التي بادرت الى توحيد كل قوى الشعب منذ النداء رقم «٢٠» وتحت راية القيادة الوطنية الموحدة وهي كلها تتشكل من فصائل م ت ف التي اختبرها الشعب بكفاحها الصلب داخل الأرض المحتلة وفي مخيمات لبنان وسوريا وفي مناطق الشتات الأخرى . وفي هذا السياق تخلف الاخوان المسلمين عن الانخراط المبكر في القيادة الوطنية الموحدة بل وعن الانخراط المبكر في الانتفاضة وكنا يعلم على امتداد سنوات طويلة لم يكن لهذا التيار دور يبدي ومباشر في مقاومة الاحتلال بل تحملت قوى المقاومة الفلسطينية الدور الأساسي في الصراع ضد الاحتلال على امتداد العشرين سنة الاخيرة .

في ظل الانتفاضة وبعد مرور شهور طويلة تقترب من العشرة وجدت حركة الاخوان المسلمين انها لاتستطيع الاستمرار بعيداً عن الانتفاضة حيث بدأت قاعدتها تضغط بقوة مما ادى إلى انشقاق مجموعة الجهاد الاسلامي وتشكيلها تنظيماً مستقلاً انخرط مباشرة في القيادة الوطنية الموحدة في قطاع غزة وتحت ضغط القواعد والكوادر الوسيطة طورت حركة الاخوان موقفها واذاعت برنامجها تحت عنوان حركة المقاومة الاسلامية «حماس» وقد اعلنت حماس انها فرع من فروع الاخوان المسلمين وهي فعلاً وثيقة الصلة بحركة الاخوان بالاردن وبمصر منذ سنوات طويلة . وهنا علينا ان نلاحظ في بداية عمل حركة حماس كانت خطواتها تتسم باشكال متصادمة مع خط وتكتيك القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة منذ اللحظات الاولى للاحتلال كان شعارنا ونداءنا إلى كل التيارات في صفوف شعبنا بما فيه التيار الاسلامي: تعالوا لنتحد في مقاومة الاحتلال، تعالوا لنبني معاً جنة العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة لشعبنا على ارضنا المحتلة ، فنحن لانريد أن نختلف على الجنة في السماء ، وهذا كله يعني بلغة واضحة لنخض قضايا الابديولوجية جانباً ولنتحد على القضايا التي تدب على أرضنا المحتلة ومخيمات اللجوء ولنقاوم معاً الاحتلال. وفي هذا السياق بقيت حركة الاخوان على امتداد سنوات طويلة بعيدة عن المساهمة الفعالة الى ان انخرطت في الانتفاضة تحت راية حماس وهنا كانت ولازالت الجهود كثيفة من أجل العمل الموحد في اطار القيادة الموحدة. لم تنجح هذه الجهود حتى الآن ، لكن نجحت كثيراً الجهود ليكون عمل حماس بالتوازي مع عمل القيادة الموحدة وليس بالتضارب معها . وخاصة فيما يتناول قضايا المظاهرات والاضرابات والاشكال الأخرى في مقاومة الاحتلال وبالجداول الزمنية المطروحة على شعبنا في الداخل في إطار فعل الانتفاضة. وهذه خطى كبيرة تم انجازها على طريق العمل المتوازي من أجل طرد الاحتلال وانتزاع الحرية والاستقلال . من بناء جنة العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة لشعبنا على أرض وطننا .

بعد هذا نقول برنامج حركة حماس معلن وينص على انها جزء لايتجزأ من حركة الاخوان المسلمين وانها تستهدف بناء دولة اسلامية وفقا للاطروحات التقليدية المعروفة للحركات السياسية الدينية الاسلامية . ويمكن لهذا البرنامج ان يبقى قائماً في اطار التنوع داخل صفوف ق.و.م. ولهذا لازال من الصائب ضرورة مشاركة حماس في ق.و.م حتى يكون لشعبنا هيئة اركان موحدة تشمل كل التيارات والاتجاهات. لان مثل هذا التطوير وقع ايضاً في م.ت.ف فعمقوا حماس موجودون الآن في المجلس الوطني وفي المجلس المركزي لـ م ت لكن لم يمتد هذا حتى الآن للداخل بانضمام حماس لـ ق.و.م وإلى أن يقع مثل هذا التطور الذي تطلبه الضرورة الوطنية المشتركة فعلينا أن نبذل كل الجهود لبناء أرقى العلاقات بين ابناء وفصائل القيادة م. وابناء حماس في النضالات المشتركة وفي مجرى هذا النضال تصبح القواعد اكثر تعارفاً وتعاطفا وتداخلاً مما يسهل مشاركة الجميع في مابعد في اطار ق.م.

والمهم من الآن وحتى تلك اللحظة أن يكون العمل متوازياً وغير متضارب حتى يبقى تيار العمل يصب باتجاه واحد هو مقاومة الاحتلال وتوحيد قوى الشعب وفقاً للجداول الزمنية النضالية التي تطرحها الساحة.

اما ما يختص بنفوذ حماس. لااريد هنا أن أدخل في حجم هذا النفوذ ولافي حجم نفوذ أي من فصائل ق.و.م. فهذه مسألة تتقرر في صفوف الشعب، في صفوف شعب الانتفاضة على الأرض كما تتقرر في صفوف مخيمات شعبنا وفي مناطق الشتات الأخرى الا ان علينا أن نشير ان حماس ذات وزن وفعل في الأرض المحتلة يتجه اكثر فاكثر للعمل الموازي مع عمل ق.و.م وعوامل حضوره عديدة في المقدمة منها نولا حماس ليست بناء حديثاً فهي امتداد لحركة الاخوان العاملة في صفوف شعبنا والمنطقة العربية على امتداد عشرات السنين وبالتالي لاتنطلق من الصفر فبحيازتها الاطارات والكوادر. وثانيا لم تتعرض حماس على امتداد عشرين عاما تحت الاحتلال لعمليات المطاردة والملاحقة كما هي الحالة مع فصائل المقاومة التي اعتبرها

الاحتلال منذ اللحظات الاولى خارج اطار القانون ووضعها تحت الملاحقة والمطاردة اليومية. فكل من ينتمي الى فصيل من فصائل المقاومة الفلسطينية الحد الادنى في الحكم عليه ٢ سنوات ومثل هذا بقيت حماس بعيدة عنه على امتداد اكثر من عشرين سنة . فاحتفظت بكل إطاراتها وبكل كوادرها وبكل أشكال عملها دون محاصرة من قبل الاحتلال . ودائماً كان ينظرلها الاحتلال بأنها حركة خيرة غير سياسية وربما اكثر من هذا لعب الاحتلال لعبة بأن يترك الميدان مفتوحاً لأية قوى مقابل قوى المقاومة الفلسطينية ذات البرامج الوطنية الديمقراطية والثورية .

وكان في حسابات الاحتلال ضرب هذه القوى بعضها في بعض . وفي هذا السياق ايضاً نتذكر ان هذا الاتجاه السياسي في صفوف شعبنا لم يتعرض لأية اضطهادات قبل ١٩٦٧ سواء في الضفة الفلسطينية او في الضفة الاردنية عندما كانت الضفتان متحدتان قبل الاحتلال . البارحة كنت أطالع وقائع المؤتمر الصحفي للملك حسين بعد الانتخابات البرلمانية حيث اشار بأن حكومته على امتداد الثلاثين عاماً الأخيرة كانت تقدم الحرية الكاملة لعمل الاخوان المسلمين تحت عنوان انها جمعية خيرة بينما كانت جميع الأحزاب السياسية الأخرى موضع محاصرة ومطاردة دائمة .

منذ أن انطلقت حماس في المشاركة في صفوف الانتفاضة من الطبيعي أن تكتسب مزيد من الحيوية والنفوذ، فكل من يناضل ضد المحتلين يجد في شعبنا أذناً صاغية . فالمرحلة هي مرحلة طرد الاحتلال وليست مرحلة ايديولوجيا ولهذا نتلاقى على القواسم الوطنية المشتركة بالنضال ضد هذا الاحتلال وانتزاع شعبنا لحقه في تقرير المصير والدولة المستقلة والعودة .

وبالإضافة إلى هنا في السنوات الأخيرة وخاصة بعد انتصار الثورة الاسلامية الايرانية من جهة وبعد الوضوح المتزايد لقصور الأحزاب والأنظمة الحاكمة العربية التي رفعت شعارات الديمقراطية والاشتراكية والحرية والوحدة القومية عن الايفاء بالتزاماتها ولم تقدم نموذجاً جاذباً لحركة الجماهير فالعديد من الشرائح الاجتماعية وخاصة في صفوف البرجوازية الصغيرة والكثير من الأحياء الفقيرة التي لاخبرة ولاتجربة كفاحية طبقية عمالية لها تعاني من عذابات الحياة الاجتماعية بالاضافة إلى عذابات الاحتلال بالنسبة لخروقنا التفت باتجاه التيار الاسلامي بأمل أن يقدم لها عوامل الانقاذ. منها من يتمنى عوامل الانقاذ في الجنة فقد فقد الأمل في الأرض، ومنها من يحاول أن يجمع بين هذا وهذا تحت الرايات السياسية الدينية .

وهذه مسألة ليست اكتشافا فقد تكررت بالتاريخ العربي الاسلامي وتكررت ايضاً في التاريخ الاوروبي المسيحي عندما تعجز القوى السيمقراطية واليسارية عن تقديم الحلول التي تفتح آفاق الحريات السيمقراطية وتتقدم وحل مشاكل التأس الاقتصادية والاجتماعية والروحية، كثير من الجماهير تتجه للتيارات الدينية وهذه مرحلة مواتية فهذه القطاعات من الجماهير تعود لتكشف بتجربتها الخاصة والعملية ان ليس أمامها إلا سواعدها المنظمة في سبيل انتزاع الحريات الديمقراطية والحقوق الوطنية بالاستقلال والحقوق الاقتصادية والاجتماعية بالنضالات الطبقية المنظمة من خلال الأحزاب والنقابات التي تؤمن وتعمل بهذه البرامج التي تدب من جديد على الأرض وتلامس قضايا الناس بديلاً عن الأحلام التي تأتي ولاتأتي .

●● ابو إياد

● ان موضوع الاتجاه الاسلامي وبالتحديد حركة حماس ، هو موضوع حساس . وفي البداية أريد ان أسجل ان هناك تنسيق مع حماس ويجب أن نقبل بالقدر الناتج عن هذا التنسيق لان مشروع حماس هو مشروع بديل للقيادة الوطنية الموحدة ومشروع بديل لكل الحركة الوطنية الفلسطينية وللاسف ان الاسلاميين يراهنون على هذا المشروع وحتى الاسرائيليون انفسهم حيث انهم يفرقون في معاملتهم بين الحركة الوطنية الفلسطينية وحركة حماس في محاولة لقلب الشارع لصالح حماس لااعتقد أن حماس لها علاقة بالاسرائيليين أو بالموساد أو بقية الاجهزة الاخرى انما الشيء الحقيقي والصحيح ايضاً أن حماس كحركة تستغل من قبل أعداء شعبنا في الداخل مثل الموساد أو الشين بيت وكل الاجهزة الامنية الاسرائيلية للفصل بينها وبين الحركة الوطنية الفلسطينية من أجل احداث صدام ما . وهذا الهدف الذي تسعى اليه المخابرات الاسرائيلية جندت له ليضاً وسائل الاعلام من حيث تكبير حجم ودور حركة حماس واظهارها كأنها هي قوة رئيسية وبديلة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

في الحقيقة .نحن فوتنا على الاعداء الوصول